

اتَّبِعْنِي.. وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُون مَوْتَاهُمْ!

(Arabic – Let the dead bury their own dead)

أحباي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: اتَّبِعْنِي.. وَدَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُون مَوْتَاهُمْ!

ومن إنجيل متى الإصحاح الثامن نقرأ العددين الحادي والعشرين والثاني والعشرين:

"وقال له آخر من تلاميذه: يا سيّد. ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي. فقال له يسوع: اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم".^١

لا أنكر أنني أعجبتُ بشهامّة ذلك التلميذ الذي أراد استئذان الرب يسوع كي يمضي أولاً لدفن أبيه. لا سيّما أنّه كان حريصاً على حفظ الوصية القائلة: "أكرم أباك وأمك". التزم بها وها هو يطلب من الرب أن يأذن له كي ينفذها. ويوجد مثل شعبى يقول: إن إكرام الميت دقته. فلماذا ذلك التلميذ الشهم ليدفن أبيه.. ليؤدى واجبا عائلياً ويجنب نفسه انتقاد الأهل والأصدقاء.^٢

لسنا نعلم ربّما جاءه الخبر وأبوه يُنازع الأنفاس الأخيرة. أو أن الأطباء حكموا بأن المرص الذي يُعانيه أبوه هو إحدى الحالات التي علاجها ميؤس منها. وأن المتوقع هو موت أبيه بعد أيام أو أسابيع. وربّما كان أبوه رجلاً مسيئاً وعلامات نهاية عمره وضحت لأقربائه والأقرباء يستعجلون الابن ليوقف بجانب أبيه في أيامه الأخيرة. وبذلك يضمن نصيبه في الميراث بعد رحيل أبيه. لقد أجابه الرب يسوع بقوله: "اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم". إن إجابة الرب يسوع على تلميذه الذي طلب استئذان الرب يسوع كي يمضي أولاً لدفن أبيه تنير فينا تساؤلات عديدة. نكتفي منها بأربعة أسئلة لنجيب عليها. ونحن نتأمل سؤال التلميذ وإجابة الرب يسوع.^٣

أولاً: لماذا يصف الرب يسوع أناساً أحياء بأنهم موتى؟.. إن الموت نتج عن الخطيئة. والخطيئة ميّت بمعنى أنّه منفصل عن الله سواء كان على الأرض يسعى أو كان في القبر مدفوناً. إنّه في حالة انفصال عن الله لأن خطايا باقية. وليس ما يمحو الخطايا إلا الدم "فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة". ودم الرب يسوع وليس سواه يمحو الخطايا. فمن جاء عند الصليب معترفاً بخطايا. ومؤمناً أن يسوع كان بديلاً عنه. ومات من أجله نال غفراناً وتطهيراً ودخل في زمرة الأبرار. وأصبح له نصيب في ملكوت السموات. لقد كتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمنى كولوسى الإصحاح الثاني يقول: "وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسديكم. أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا". لقد كنا أمواتاً بخطايانا. والرب سامحنا نحن المؤمنين بجميع خطايانا وأعطانا حياة.^٤

إن الموتى بالذنوب والخطايا قادرين على دفن موتاهم. ولكنهم غير قادرين على تبعية يسوع. لأنهم لم يتحرروا بعد من عبودية إبليس الذي أغواهم بالخطيئة وكنههم بأغلال الشهوات العالمية. قال بولس الرسول في رسالته إلى مؤمنى أفسس: "وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكنم فيها قبلاً. الله الذي هو غنى في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح". وباختصار أقول: إن انفصالنا عن الله باختيارنا هو تبعية لمملكة الظلمة. ويجعلنا في نظر الله أمواتاً حتى لو كنا أحياء في نظر الناس.^٥

ثانياً: هل هناك فرق بين موت الخاطي وموت المؤمن؟.. نجيب من كلمة الله بأن هناك فرق. ومثل الغنى ولعازر الذي ضربته السيّد المسيح بإنجيل لوقا الإصحاح السادس عشر يبيّن أن من تنعم مترفها في عيشه. غير

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٨ : ٢١ - ٢٢

^٢ إنجيل مرقس ١٠ : ١٩

^٣ سفر التكوين ٥٠ : ٦

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ٩ : ٢٢

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢ : ١٣

رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ٢ : ١٣

مُبَالِ بَرَجُلٍ مُعَوَّرٍ يَسْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ بِالْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَتِهِ سَجَلِ الْوَحْيِ وَصَفَا لِنَهَايَةِ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ: "وَمَاتَ الْغَنِيُّ وَدُفِنَ". أَمَا عَنْ لِعَازَرَ فَسَجَلِ الْوَحْيِ وَصَفَا لِنَهَايَةِ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ السَّبْعِ: "فَمَاتَ الْمَسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ". رَبَّمَا أَعَدُّوا لِلْغَنِيِّ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ لِيَدْفِنَهُ مُكْرَمًا مُبَجَّلًا. وَلَكِنْ سَجَلَاتِ السَّمَاءِ لَا تَحْتَوِظُ بِهَا. وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يُعِدُّ شَيْئًا لِذَلِكَ الْمَسْكِينِ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنْ مَا أَعَدَّتْهُ السَّمَاءُ مِنْ تَرْتِيبَاتٍ لِاسْتِقْبَالِ ذَلِكَ الْمَسْكِينِ كَانَ رَائِعًا. فَإِنَّ غَابَتْ الْعَدَالَةُ عَلَى الْأَرْضِ فَعَدَالَةُ السَّمَاءِ لَا تَغِيبُ وَلَنْ تَغِيبَ. كَانَ فَرِيقٌ مِنْ مَلَائِكَةِ مُعَدًّا لَهُ لِيَحْمِلَهُ إِلَى حَضْنِ إِبْرَاهِيمَ.^١

ثالثًا: لِمَاذَا لَمْ يُطَلَبْ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ شِفَاءً لَوَالِدِهِ إِذَا كَانَ مَرِيضًا عَلَى قَبْرِ الْحَيَاةِ؟.. لِمَاذَا لَمْ يُسْأَلْ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ الرَّبَّ يَسُوعَ أَنْ يُقِيمَ وَالِدَهُ إِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ؟. لَقَدْ أَقَامَ يَسُوعُ لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْتَنَ. إِنْ صَاحَبَ السُّؤَالُ هُوَ تَلْمِيزُ ذَلِكَ الَّذِي شَفَى مَرَضِي وَأَقَامَ مَوْتِي. وَإِنْجِيلُ مَتَّى فِي إِصْحَاحِهِ الْعَاشِرِ يَذْكَرُ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَعْطَى الْآتِيَّ عَشْرَ تَلْمِيزَاتٍ لِسُلْطَانَا لِعَمَلِ مُعْجَزَاتٍ. بِجَانِبِ كِرَازِيَتِهِمْ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "الْكِرْزُوا قَائِلِينَ أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ. اشْفُوا مَرَضِي وَطَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتِي. أَخْرِجُوا شَيْطَانِي. مَجَانًا أَخَذْتُمْ مَجَانًا أَعْطُوا".^٢

لَقَدْ امْتَدَحْنَا ذَلِكَ التَّلْمِيزَ أَنَّهُ فَكَّرَ أَنْ يُكْرِمَ أَبَاهُ. وَلَكِنْ لِلْأَسَفِ لَمْ يُدْرِكْ ذَلِكَ التَّلْمِيزَ أَنَّهُ كَانَ الْأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يُقَدِّمَ طَلِبَةَ إِيمَانٍ قَائِلًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ: "يَا سَيِّدُ لَيْتَكَ تَقُولُ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ أَبِي لِأَنَّكَ تَقْدِرُ". أَوْ يَقُولُ: "يَا سَيِّدُ أَبِي قَدْ مَاتَ. قُلْ كَلِمَةً لِنَعُودِ الْحَيَاةِ إِلَيْهِ فَقَدْ لَفِظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ. إِنْ شِئْتَ تَقْدِرُ أَنْ تَقِيمَهُ". يَا لِلْأَسَفِ إِنْ تَلْمِيزَ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ رَبُّ الْحَيَاةِ يُطَلَبُ الْإِذْنَ بِالذَّفَنِ! كَانَ جَدِيرًا بِهِ أَنْ يُطَلَبَ الْإِذْنَ بِعَوْدَةِ الْحَيَاةِ. لَقَدْ انشَغَلَ بِمَسْئُولِيَّاتِ تَمْلِيحِهَا عَلَيْهِ التَّقَالِيدُ. وَغَابَ عَنِ ذَهْنِهِ: أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاطِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلِحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ.^٣

رابعًا: هَلْ تَمْنَعُ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ مِنْ إِنْجَازِ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ؟.. أَوْ مَسْئُولِيَّاتِنَا الَّتِي تَلْزِمُنَا بِهَا تَقَالِيدُنَا الْأَسْرِيَّةِ؟. وَالْإِجَابَةُ: لَيْسَ مَا يَمْنَعُنَا مِنْ إِنْجَازِ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ بَلْ عَلَى الْعَكْسِ. يَصِفُ بُولُسُ الرَّسُولُ خَادِمَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: "يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا. لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ". إِنْ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ تَعِينُنَا عَلَى إِدَارَةِ شُؤْنِ بُيُوتِنَا عَلَى خَيْرِ وَجْهِ. إِنْ تَبَعِيَّتَنَا لِيَسُوعَ تَمِدُّنَا (١) بِالْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَ(٢) بِالْحِكْمَةِ. وَ(٣) بِالْقُدْرَةِ عَلَى رِبْحِ نَفُوسِ جَمِيعِ أَفْرَادِ عَائِلَاتِنَا. بِكُلِّ تَأْكِيدٍ إِذَا انشَغَلْنَا بَعِيدًا عَنِ الرَّبِّ بِحُجَّةٍ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ فَلَا مَحَالَةَ سَنُخَسِرُ نَفُوسَهُمْ. إِنْ الْأَصُوبُ تَأْيِيدِيَّةٌ وَاجِبَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ وَنَحْنُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ وَهُوَ بِالْقَرْبِ مِنَّا. وَالْخَطَأُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ التَّلْمِيزُ أَنَّهُ فِي طَلْبِهِ الْإِذْنَ بِأَنْ يَمْضِيَ أَضَافَ كَلِمَةَ "أَوْلَا" عَلَى خِلَافِ مَا يُعْلَمُ بِهِ يَسُوعَ. لَقَدْ قَالَ: "يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوْلَا وَأَدْفِنَ أَبِي".^٤

لَقَدْ عَالَجَ الرَّبُّ خَطَأَ ذَلِكَ التَّلْمِيزِ قَائِلًا لَهُ: "اتَّبِعْنِي وَدَخَّ الْمَوْتِي يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ" لَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ: "اطْلُبُوا أَوْلَا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ". إِنْ هَذِهِ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا مَسْئُولِيَّاتٌ عَائِلِيَّةٌ وَاجِبَةٌ وَلَا زِمَةٌ وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ فِي الْقَائِمَةِ أَوْلَا. لِيَضَعُ كُلُّ شَيْءٍ ثَانِيًا. وَلِنَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُونَا قَائِلًا: "اتَّبِعْنِي أَوْلَا". دَخَّ الْمَوْتِي يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ. أَنْتَ فِي مِيدَانِ حَرْبٍ مَعَ قَوَاتِ الظُّلْمَةِ. لَا تَنْسَ أَنْ هَدَفَكَ كَمَسِيحِي نِلْتَ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ هُوَ امْتِدَادُ مَلَكُوتِ اللَّهِ. لَا تَتْرُكْ الْمِيدَانَ لِتُحْفَرُ قَبُورًا لِمَوْتِي. لَقَدْ أَعْطَاكَ الرَّبُّ سُلْطَانًا لِإِقَامَةِ مَوْتِي لَا لِيَدْفِنَ أَمْوَاتٍ. وَشَتَانِ الْفَرْقِ.^٥

لَيْتَكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ شَرَفْتَنِي إِذْ دَعَوْتَنِي لِأَتْبِعَكَ. أَعْنِي إِلَهِي كَيْ أَكُونَ سَامِعًا عَامِلًا بِكَلَامِكَ. آتِي إِلَيْكَ فِي حَقِّ الدَّمِ الْغَالِي الَّذِي سَفَكَ مِنْ أَجْلِي. طَالِبًا رَحْمَتِكَ وَغُفْرَانِكَ. خَلَاصَكَ وَتَحْرِيرَكَ. هَبْنِي رَبِّي حِكْمَةً كَيْ أَعِيشَ حَسَبَ مَا يُرْضِيكَ. لِأَتَمِّمَ مَشِيئَتَكَ وَأَعْمَلَ إِرَادَتَكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِيٍّ وَمُخْلِصِيٍّ. وَاتِّقًا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ مُتَمَسِكًا بِوَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ١٦: ١٩ - ٣١

^٢ إنجيل يوحنا ١١: ٣٩ ، إنجيل متى ١٠: ٧

^٣ إنجيل لوقا ٩: ٦٢

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣: ٤

^٥ إنجيل متى ٦: ٣٣